تاريخ الفلسفة
٥٠ الواقعية الاسكتلندية
د .آرثر هولمز من كلية ويتون ،

سنركز هذا المساء على الواقعيين الاسكتلنديين، وكما تلاحظون من المخطط على السبورة، سيقودنا هذا إلى إيمانويل كانط، لذا أعتزم تخصيص الوقت يوم الجمعة القادم لتقديم لمحة عامة عن كانط قبل الخوض في تفاصيل منهجه .لذا، توقعوا ذلك .وقد أُوليَ اهتمامٌ محدودٌ للواقعيين الاسكتلنديين ومكانتهم في تاريخ الفلسفة، ويعود ذلك في الغالب إلى هيمنة التجريبيين البريطانيين، مثل لوك وبيركلي وهيوم، على الساحة الفكرية آنذاك، والذين ثار إيمانويل كانط ضدهم، إلا أن تأثيرهم استمر في التجريبية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وجون ستيوارت ميل، والوضعية.

مع ذلك، كان الواقعيون الاسكتلنديون مجموعة من المفكرين في عصر التنوير والإصلاح، وتحديدًا في حلقة إدنبرة من التنوير، عفواً، تسللت حركة الإصلاح بطريقة ما إلى التنوير الاسكتلندي في إدنبرة أواخر القرن الثامن عشر، واستمر تأثيرهم حتى القرن العشرين، ليس فقط من خلال تأثيرهم بفضل أولئك الذين قدموا إلى الولايات المتحدة، وتأثيرهم القوي في برينستون، بل حتى في الفكر البريطاني .لذا، عندما نتناول الواقعية في أوائل القرن العشرين، وأقصد تحديدًا جي إي مور، سنجد العديد من أوجه التشابه مع الواقعيين الاسكتلنديين .في الواقع، قبل بضع سنوات، تتبعتُ مجموعة كاملة من أوجه التشابه اللفظية الفعلية بين جي إي مور وتوماس ريد، وكان ذلك أحد تلك الآمال الضائعة في مقال تاريخي من شأنه أن يغير الصورة، إلى أن أرسلته إلى المجلة البريطانية "مايند"، فجاءتني بملاحظة حول كتاب صدر حديثًا، فعل الشيء نفسه، وهكذا انتهت تلك المحاولة الصغيرة.

مع ذلك، نجحتُ في الحصول على توقيع المحرر على رسالة الفراق، والذي كان آنذاك جيلبرت رايل، وهو رجل بريطاني مرموق .لكن الواقعية الاسكتلندية حركةٌ ذات أهمية بالغة، وكما سنرى في نهاية هذا المقال، حركةٌ كان إيمانويل كانط على درايةٍ تامةٍ بها.

لذا فإن تأثيرها لا يقتصر على مجرد سلاسل من الأفكار التي استمرت في تقليد الواقعية المباشرة .والآن، اسمحوا لي أن أضيف ملاحظة تمهيدية أخرى، وهي أنه ليس من الواضح على الإطلاق أن توماس ريد يفسر ديفيد هيوم تفسيراً صحيحاً .يبدو أنه يفهم هيوم على أنه يقول إنه لا يوجد أساس للاعتقاد بأي شيء.

وكأنّ شكّ هيوم كان كلمته الأخيرة، لا إيمانه .ويبدو أن هذه القراءة لهيوم قد سادت في أوساط كثيرة .وأظنّ أن هذه هي الصورة الشائعة عنه، إلى أن تقرأ المزيد.

اسمحوا لي أن أعلق على أربعة مواضيع تناولها ريد .وأولها، كما قد تتوقعون، تلك النظرية الأساسية المؤثرة للغاية للأفكار، وهي النظرة التمثيلية.

الرأي القائل بأن موضوع إدراكنا الذهني المباشر هو مجرد الأفكار الموجودة في أذهاننا، وأن محتوى عقولنا هو كل ما ندركه بشكل مباشر، هو، كما يقول ريد، مجرد وهم من صنع الفلاسفة.

وستجد هذا النوع من النقد يتكرر مرارًا وتكرارًا في كتابات ريد .فهو يرى أن الحس السليم، كما يسميه، أقرب إلى حقيقة الأشياء من التقاليد الفلسفية التي انبثقت من ديكارت ولوك .ويبدو أنه يقصد بالحس السليم المعتقدات التي يحملها كل إنسان بطريقة غير فلسفية.

لكن في الوقت نفسه، يبدو أن آراءه تعكس بعض التأثيرات الأرسطية التي كانت حاضرة بقوة في المسائل الفلسفية قبل نظرية المُثُل. لذا أعتقد أنه لا ينبغي القول بأن الحس السليم أقرب إلى الحقيقة من الفلسفة، بل إن الحس السليم أقرب إلى الحقيقة من نظرية المُثُل. وهنا يكمن الخلل.

يقصد أن الأفكار لا تملك صفات ثانوية. أفكارك لا تفوح منها رائحة، بل الورود هي التي تفوح منها الرائحة.

أترى ؟ أفكارك ليست ساطعة بشكلٍ مُبهر، بل النور هو الساطع المُبهر. لذا، فإن الحديث عن ذاتية الصفات يبدو وكأنه يُفنّد ما نعرفه بالفعل، ألا وهو أن للورود رائحةً زكيةً وأن النور قد يكون ساطعًا بشكلٍ مُبهر.

بتعبير فلسفي أدق، هو يدافع عن وجهة نظر عرضية للإدراك بدلاً من وجهة نظر تمثيلية. أي أن الأشياء لا تُمثَّل لنا بالأفكار، بل تُعرض مباشرةً على الوعي، بحيث يكون لديّ إدراك مباشر للأشياء المادية. لاحظ أنني قلتُ "مباشرة".

هذه نظريةٌ للإدراك المباشر والمعرفة المباشرة والوعي المباشر، وهي تختلف عن النظرة غير المباشرة لنظرية التمثيل. تُسمى هذه النظرية بالواقعية المباشرة.

يُطلق عليه أحيانًا اسم "الوحدانية المعرفية"، بدلًا من ثنائية الرؤية التمثيلية التي تتضمن كلًا من الأفكار والأشياء التي تتعامل معها. لذا ستجد الإشارة إليه بهذه الطرق. أما مصطلح "الواقعية"، فهو بالطبع يتناقض مع "الظاهراتية"، التي تفترض أننا لا نرى إلا المظاهر، وأننا لا نعرف إلا أفكارنا.

إنها واقعية من وجهين. أولهما، الوجود المستقل للأشياء المادية وصفاتها. الوجود المستقل، وستلاحظ استخدام مصطلح "مستقل" بشكل متكرر.

الوجود المستقل، المستقل عن العقول. بمعنى آخر، فإن موضوعات معرفتنا موجودة سواء عرفناها أم لا. فهي ليست معتمدة على العقل، كما قال بيركلي.

إذن، فهي لا تُعارض النزعة الظاهرية فحسب، بل تُعارض المثالية أيضاً بهذا المعنى. فهي تُعارض الوجود المستقل للأشياء المادية، وكذلك الاعتقاد بأن لدينا معرفة حقيقية بتلك الحقيقة المستقلة. ليس فقط أن الأشياء موجودة بشكل مستقل، بل يُمكن للظاهري أن يقول ذلك.

لكن هذا يعني أننا نمتلك بالفعل معرفة بما هو موجود بشكل مستقل. موضوعيًا، بغض النظر عما إذا كنا نعرفه أم لا. ولكنه يعني أيضًا أننا نعرفه.

هكذا هي الأمور. الوعي المباشر. إذن، ما الذي يفعله بهذه النظرية للأفكار؟ ومن الواضح أنه لا بد من فعل شيء ما بالأفكار.

وذلك لسببين بديهيين، وهما أننا نتعامل مع هذه الأفكار في أذهاننا باستمرار، سواء في التأمل أو الذاكرة أو غير ذلك. وعلاوة على ذلك، في نظرية المعرفة، فإننا نشير إلى وجود الأفكار نفسها.

عندما نتحدث عن الترفيه، ما الذي ليس صحيحًا؟ كيف يمكن أن يكون لديّ وهم أو مفهوم خاطئ إذا لم تكن هناك حالات ذهنية نسميها أفكارًا؟ الوهم هو حالة ذهنية لا تتوافق مع الواقع. والمفهوم الخاطئ هو فكرة لا تتوافق مع الواقع.

لذا، يجب أن يكون لديك مساحة للأفكار إلى جانب الوعي المباشر .ربما تحتاج إلى الوعي المباشر للوصول إلى حقيقة الشيء وواقعه المستقل .لكنك تحتاج أيضاً إلى أفكار لتفسير الخطأ .

إذن، ماذا يفعل بالأفكار؟ حسناً، يشير ريد إلى أنه عندما نتحدث عن امتلاك فكرة في اللغة الدارجة، فإننا لا نزال نشير إلى الوعي المباشر .قد يكون وعياً مباشراً بشيء موجود بالفعل ، أو قد يكون وعياً مباشراً بفكرة من ابتكارنا.

أو أنها نشأت في أذهاننا، وكأنها بُنيت تخيلياً من الذاكرة دون وعي منا .الأفكار موجودة، لكنها في حالتها الطبيعية، مجرد دلائل وليست موضوعات للمعرفة.

بمعنى آخر، في إدراكي لوردة أو لعلامة عادية ذات رائحة نفاذة كهذه .كما ترى، هناك فعل ذهني مزدوج .الأول هو الإدراك المباشر لهذا الشيء بخصائصه.

والأمر الآخر الذي ينبثق من ذلك هو الأفكار التي تدور في ذهني، والتي أستخدمها عند الإشارة إليها حتى عندما لا أكون واعياً بها .لها رائحة مميزة .إذا صادفت تلك الرائحة في مكان آخر، فسأفكر فوراً في هذا النوع من الأشياء.

إذن، تلعب الأفكار دورًا، لكن ليس كوسيط .بل هي بمثابة مؤشرات لما قد يكون موجودًا أو غير موجود، لا كوسيط .ولا تُصبح الأفكار وسيطًا إلا عندما تُفكر في الفكرة نفسها، ولا يوجد شيء حاضر.

إذن، علينا أن نتحدث ليس فقط عن نظرية المُثُل، بل عن الاعتقاد الطبيعي أو اعتقاد الحس السليم .اعتقاد الحس السليم .ويُطلق عليه أحيانًا الواقعية الحسية السليمة.

انتبه لعبارة "الفطرة السليمة ."لها معنيان على الأقل .تذكر أن أرسطو كان يرى أن الفطرة السليمة هي حاسة تنسق وتوحد الحواس الأخرى.

.الحس المشترك، كما كان يُطلق عليه .المشترك الحس .لقد عمل مع الحواس الأخرى المشتركة معها جميعاً

.شعورٌ موحّد .لكن هذا ليس استخدام ريد للمصطلح .ريد يستخدمه بالطريقة التي نستخدمها نحن

عندما تقول ردًا على قراءتك الأولى لكتابات جورج بيركلي عن المثالية، إن هذا ينتهك المنطق السليم، أي المسلّمات الطبيعية والتحليلية التي نشأنا عليها، يبدو أن هذا رأي شائع بين كثير من الناس.

لكن المشكلة في الاعتماد على المنطق السليم، بالطبع، هي أن ما هو شائع في ثقافة ما قد لا يكون كذلك في ثقافة أخرى .لذا، قد تكون هناك أمور منطقية معينة للأمريكيين غريبة تمامًا عن المنطق السليم في تمبكتو أو تمبكتريد .أجل، سيدي.

لذا، قد يكون مصطلح "الاعتقاد الطبيعي "أكثر أمانًا نوعًا ما .ومن وجهة نظر فلسفية، فهو مصطلح يحمل تاريخًا أكثر دلالة .الاعتقادات الطبيعية.

في نهاية المطاف، لدينا تاريخ طويل يمتد إلى هيوم يتحدث عن قوانين الطبيعة .صحيح أن هذه القوانين فُهمت بشكل مختلف في الأخلاق والعلوم، إلا أن استخدام الطبيعة في سياق فلسفي يعود إلى أرسطو.

،أتذكرون؟ من الذي يقول دائماً، في أي موضوع كان، من الفيزياء إلى الأخلاق، "بالطبيعة، بالطبيعة بالطبيعة"، هذه هي العلامة، بالطبيعة .إذن، ما يفعله ريد هو الاستناد إلى الطبيعة الجوهرية للأشياء.

تعتمد المعتقدات الطبيعية على الطبيعة الفطرية للبشر، وليست معتقدات مصطنعة نخترعها، كما هو الحال في النظرة ما بعد الحداثية.

.أن نخلق قيمنا الخاصة، ونخلق معانينا الخاصة، ونخلق معتقداتنا الخاصة .كلا، ليس هذا ما يؤمن به ريد

هناك معتقدات تنشأ بشكل طبيعي في سياق الطبيعة، عفوية لا مصطنعة .وفي هذا الصدد، ثمة تشابه كبير مع ديفيد هيوم.

أترى ؟ لأن علم نفس الاعتقاد عند هيوم يمكّنه من تأكيد أن بعض المعتقدات هي معتقدات طبيعية، تنشأ في سياق الطبيعة .أتتذكر ذلك الفصل الصغير المثير للاهتمام في بحث هيوم عن العقل عند الحيوانات؟ في الحقيقة، ما يقوله فيه ليس أن الحيوانات تستنتج معتقداتها بالعقل.

الحيوانات لا تفكر .لكن يبدو أنها تتصرف كما لو كانت لديها معتقدات أيضاً .فهي تؤمن بوجود الأشياء الخارجية، مثل كومة التبن.

أترى ؟ إنهم يؤمنون بحقيقة هذا وذاك وغيره .يبدو أنهم يؤمنون بأمور معينة حول هذه الكائنات .وهذه معتقدات، أو شبه معتقدات، تنشأ ببساطة في سياق الطبيعة بحكم الطبيعة الجوهرية لعلم نفس الخيول.

إذن، ثمة تشابه هنا بين ما يفعله هيوم في حديثه عن الإيمان وما يفعله الواقعيون الاسكتلنديون في حديثهم عن الإيمان الطبيعي .والفرق هو التالي :ليس أن الواقعيين الاسكتلنديين يؤكدون أن الطبيعة البشرية تميل عالميًا إلى إنتاج معتقدات معينة.

يؤمن هيوم بذلك .لكن تركيز ريد ينصبّ على حقيقة أن الله خلقنا بطريقة تجعلنا، في سياق الطبيعة، نصل إلى معتقدات معينة .لديه تبرير إلهي للاهتمام بالمعتقدات الطبيعية.

لكن حتى هذا ليس بالأمر الجديد .ففي نهاية المطاف، كان لدى ديكارت تبرير إلهي للثقة في القدرات غير العقلانية .وكذلك فعل جون لوك.

والآن، بفضل بيركلي وهيوم، بات من الواضح أن قدراتك العقلية على الحدس والبرهان ليست على نفس القدر من الجودة التي ظنها ديكارت ولوك .وإذا كانت القدرات العقلية محدودة بالفعل، فإن الحقيقة هي أن لدينا ميولًا فطرية نحو الإيمان .لذا، يمكنك أن تشكر الله على ذلك.

نعم سيدي .إذن، هو نفس الأساس اللاهوتي لنظرية المعرفة التي كانت لدينا عند ديكارت ولوك، ولكن مع رؤية مُحدَّثة لدور البرهان العقلاني وحدوده .مع ذلك، لا يزال ريد يؤمن إيمانًا راسخًا بالبرهان العقلاني.

ريد من أنصار المبادئ الأساسية .كما تعلمون، فإنّ أنصار المبادئ الأساسية هم من يعتقدون بوجود حقائق أساسية معينة يمكننا من خلالها استنتاج الكثير .حسناً، ريد يفكر بهذه الطريقة.

لكن الحقائق الأساسية ليست يقينية بشكل قاطع .إنها ليست يقينية عقلانية .الحقائق الأساسية هي معتقدات طبيعية.

،ومن هذه المعتقدات الفطرية نستنتج استنتاجاتنا .فانطلاقاً من معتقداتنا الفطرية حول وجود العالم المادي ونظامه، وروعة نظام الطبيعة، نستطيع بالطبع أن نستنتج حججاً استنتاجية لوجود الله، سواءً كانت كونية .أو غائية

هكذا كان الحال في فكر تشارلز هودج، عالم اللاهوت بجامعة برينستون، حوالي عام 1860، الذي بنى الحجج الإلهية على أساس الواقعية الاسكتلندية .ومن ثم، يُعد هذا أساس ما يُسمى بالدفاع الاستقرائي، الذي .انبثق من معهد برينستون اللاهوتي لعقود لاحقة حتى القرن العشرين .الواقعية الاسكتلندية

حسناً، من بين هذه المعتقدات الطبيعية التي يمتلكها ريد، معتقدات حول قوانين المنطق، ومعتقدات حول .بديهيات الرياضيات، كالهندسة الإقليدية مثلاً

معتقدات حول وجود الأشياء المادية وطبيعتها .وبالمناسبة، لم يكن يؤمن بنظرية الذرية للمادة، أي .الجسيمات المنعزلة التي لا تربطها علاقات متبادلة

.لا .المعتقدات حول العلاقات السببية .أجل، صحيح

إن العلاقة الضرورية بين ما نسميه السبب والنتيجة معروفةٌ بشكل مباشر .فنحن نختبرها .وأعتقد أنه يمكنك .تقديم حجة مقنعة في هذا الشأن

الحجج التقليدية التي صادفناها لدى فلاسفة مثل لوك، والتي تقول إننا ندرك ذلك بشكل أوضح في تجربتنا الداخلية، في أفكارنا التأملية .العلاقة السببية بين الإرادة والجسد هي عندما تقرر فعل شيء ما وتجبر نفسك .على فعله .حسنًا، أعتقد أننا ندرك، بنفس المنطق، القوة السببية في مشاعرنا الجسدية

عندما ترفع أوزاناً ثقيلة، تشعر بالقوة في عضلاتك .أحياناً أستخدم مثال حمل أكياس ملح تنقية المياه الكبيرة التي تزن 40 رطلاً، والتي نستخدمها في أجهزة تنقية المياه هنا، إلى داخل المنزل .تحمل كيساً في كل يد، كما .تعلم

وبإمساك واحدة في كل يد، تُثبّت ذراعيك، وتحملهما معك، متمايلًا في طريقك، كما تعلم .وتشعر بذلك في كل .مكان .تشعر بالروابط السببية في بعض أجزاء الجسم

حسنًا، هذا هو الأسلوب الذي يتبعه ريد في طرح حججه .لكن تذكر هذا جيدًا، لأن إيمانويل كانط سيعود إلى هذه النقطة لاحقًا .السؤال المحوري، كما أشار هيوم، يتعلق بمعرفتنا للأشياء، بالحقائق، خارج نطاق .التجربة الحالية، خارج نطاق العقل

السؤال المحوري هو سؤال السبب والنتيجة .هل نعلم بوجود علاقات سببية؟ قال هيوم لا، لكننا نصل إلى .تصديقها .ويقول ريد إن المعرفة هي ببساطة امتلاك اعتقاد صحيح

.ولدينا اعتقاد فطري .ولم يقتنع كانط بأي منهما .لذا حاول إيجاد مصدر آخر لفكرة العلاقة السببية

سيكون هذا الأمر بالغ الأهمية .حسنًا، لدينا أيضًا معتقدات فطرية حول الذاكرة .هل يشك أحدكم في أنني .قلت ذلك للتو؟ لا، أنتم تصدقون ذلك بالفطرة لأنكم تتذكرون أنني قلته

المعتقدات الفطرية حول الحرية الإنسانية .المعتقدات الفطرية حول المبادئ الأخلاقية .هذه المعتقدات .متأصلة في الطبيعة البشرية

.في الميول .إنها كلمة مثيرة للاهتمام .في ميول الطبيعة البشرية

ولعلكم تذكرون أن هذه هي الكلمة نفسها التي يستخدمها ديفيد هيوم عندما يتحدث عن علم النفس .الأخلاقي :الميول .في الواقع، كنتُ أقرأ هذا الصباح كتاب كيث ياندل عن فلسفة ديفيد هيوم للدين

وقد خصص فصلاً كاملاً لميول الطبيعة البشرية عند ديفيد هيوم .فبينما يقول هيوم، في جوهره، إن الذات ليست سوى مجموعة من الأفكار والتصورات والانطباعات المستقلة والمعزولة، دون وجود جوهر عقلي أو .روحي كامن يمكننا معرفته

لكن المفارقة تكمن في قوله أيضاً إن للطبيعة البشرية ميولاً فطرية معينة تُقنعنا .إنه لأمرٌ غريب .لا توجد .علاقة بين أجزاء الوعي

لكننا بطريقة أو بأخرى نربط بينهما بطرق نمطية معينة .يرى ياندل أن هذا تناقض في فكر هيوم، إذ لديه .رؤيتان مختلفتان للذات لا تتوافقان

حسناً، ما يفعله ريد هو البناء على هذا المفهوم للميول البشرية، المتأصلة في التكوين البشري، والتي بفضلها لا .نرى علاقات بين الأفكار المنفصلة والمجزأة

لكن بفضلها نكتسب المعتقدات في عملية طبيعية .بل يمكنك القول إنها بالنسبة له معتقدات ضرورية، فهي .صحيحة بالضرورة

يبدو أن كلمة "ضروري "في هذه الحالة تعني شيئًا مثل "ضروري نفسيًا ."وبالنظر إلى طبيعة الإنسان، لا يسع .المرء إلا أن يؤمن ببعض الأمور .ضروري نفسيًا

وهذا يختلف، أليس كذلك، عن مفهوم الضرورة المنطقية؟ فالحقيقة الضرورية بالمعنى المنطقي هي تلك التي يكون بديلها الوحيد، أي تناقضها، متناقضًا مع نفسه وبالتالي خاطئًا .فإذا كان البديلان هما أ أو نفي أ، وتبين .أن نفي أ متناقض مع نفسه وبالتالي خاطئ، فإن أ، بالضرورة المنطقية، هي الحقيقة

كما ترى، ستكون هذه حقيقة ضرورية منطقياً .واللافت للنظر أن جي إي مور، الذي تناول هذا الموضوع مباشرة بعد عام 1900، يؤكد أن هذه المعتقدات الطبيعية ضرورية منطقياً .لماذا؟ لأن تناقضها متناقض في .حد ذاته

كيف ذلك؟ حسنًا، خذ على سبيل المثال ذلك الشخص الذي ذكرته في المرة الماضية، والذي قال إن الوقت غير حقيقي .مفهوم؟ الوقت غير حقيقي .وهو يناقض ذلك في كل مرة يقول فيها" :يجب أن أفعل شيئًا قبل ."أن أفعل شيئًا آخر

إنها وجهة نظر متناقضة في حد ذاتها .يسميها مور المفارقة التي ينفي فيها الفلاسفة باستمرار، بأفعالهم، ما .يقولونه .وهذا يشبه إلى حد كبير ما قاله توماس ريد، أليس كذلك؟ يكمن التناقض بين النظرية والتطبيق

لو كنتَ تؤمن بما تقول ، لما تصرفتَ على هذا النحو .ولذا يُزعم أن هذا التناقض يجعله حقيقةً ضروريةً منطقيًا .لم يلقَ هذا الزعم قبولًا واسعًا لدى غير الواقعيين، لكن من المفهوم أن البعض سيرى أن هناك . خللًا في التصنيفات، يمزج بين العملي والنظري

حسنًا، لدينا هذه المعتقدات الطبيعية أو البديهية .استمع لما يقوله ريد عن صديقك ديكارت .رجلٌ مثل ديكارت، يشك في وجوده، ويتذكر التأمل الأول، لا شك أنه غير جدير بالحوار كرجلٍ يعتقد أنه مصنوع من زجاج.

قد توجد اضطرابات في بنية الإنسان تُنتج مثل هذه التصرفات المبالغ فيها، لكن لن يُشفى هذا الاضطراب بالمنطق .والآن، إضافةً إلى هذا النوع من التعليقات الشخصية، وإلى جانب حس الفكاهة، فإن النقطة الواضحة هي أنه إذا كنت تعتقد أنك غير موجود، فهناك خلل ما .لديك مشكلة نفسية ما .

ميولك الطبيعية لا تعمل بشكل صحيح .لأن المعتقدات الطبيعية عفوية، فهي ليست اختيارية .إنها تفسيرات عفوية للتجربة.

.لذا، عندما تشعر بإحساس ما، إحساس جسدي، فهو بمثابة إشارة لك إلى وجود جسم مادي في محيطك وبالتالي، فإن الإيمان بهذا الشيء المُشار إليه هو رد فعل طبيعي وتلقائي .كما ترى، فإن ما يحدث هنا يُشبه آليات الاستجابة للمثيرات السلوكية.

لذا فإن طبيعة الإدراك المباشر تقتضي أنه إذا كان ذلك يحدث في العين، فهناك منبه، إحساس، يُنتج استجابة فورية، مؤكدًا وجود شيء ما .لم ترمش؛ كان من المفترض أن ترمش .لأن رمشتك كانت ستؤكد إدراك وجود شيء ما.

،سأُحسِنُ صنعًا في المرة القادمة .صحيحٌ أن ريد، بطبيعة الحال، يُعتبر من رواد علم النفس ما قبل السلوكي إلا أنه بعد تطور علم النفس السلوكي، وظهور واتسون وغيره، بدأ الواقعيون بالفعل في الاستناد إلى آليات المُثير-المنعكس لتفسير الطبيعة المباشرة للإدراك الحسي .إذن، الإحساس هو علامةٌ رتبها الله لنا.

.الذكرى علامة .أتذكر شيئًا ما، شيء ما يعود، أقول لنفسي .يعود؟ إنها علامة على وجود شيء ما سيعود

وبشكل عفوي، أجيب وأؤكد ما أتذكره .والخيال، كما تعلمون، مجرد خيال، هو علامة، فمعرفة أنه شيء تتخيلونه، هي علامة على أنه لا يوجد شيء تؤمنون به .لذا عندما أتحدث عن زرافاتي الخيالية ذات أجنحة الفراشات، ترون، بمعرفتكم أنها مجرد عينة خيالية، لا تعتبرونها دلالة على شيء مادي، بل تعتبرونها دلالة على أفكار هولمز الغريبة.

لا شيء سوى ذلك .حسنًا، إذن، يعود ذلك إلى طبيعة الإنسان ككل، وهو أمر شائع بين جميع البشر، وليس نتيجة لعمليات التفكير، ما يجعلنا نمتلك هذه المعتقدات الفطرية .والآن، لم يكن من المستغرب أن يكون هؤلاء الواقعيون الاسكتلنديون من المشيخيين الاسكتلنديين.

وتتجلى معتقداتهم الإلهية بالطرق التي أشرت إليها .لكني مهتمٌ بإيجاد بيانٍ مماثل، ليس مطابقًا تمامًا، بل بيانٍ مماثل، لدى جون كالفن .ولا أريد أن ألمح إلى أن توماس ريد قد قرأ نفس طبعة كتاب كالفن "مبادئ الدين المسيحي "التي قرأتها، أو حتى أنه قد دوّن هذه الفقرة في طبعته الخاصة من الكتاب.

لكن استمع إليه، وستلاحظ التشابه .هذا جون كالفن .المرونة المتعددة للروح، التي تمكنها من مسح السماء والأرض، وربط الماضي بالحاضر، والاحتفاظ بذاكرة الأشياء التي سُمعت منذ زمن بعيد، وتصور أي شيء تختاره بمساعدة الخيال.

.كما ترى، هناك الإدراك، الذي يرصد السماء والأرض .والذاكرة، التي ترصد الأشياء التي حدثت منذ زمن بعيد والآن الخيال.

.إن براعتها في ابتكار هذه الفنون الرائعة، ويذكر بعضها، تُعدّ أدلة قاطعة على وجود الجانب الإلهي في الإنسان بعبارة أخرى، تُقدّم الطبيعة البشرية، كما خُلقنا، دليلاً على أن خالقاً قد منحنا هذه الميول .لذا، فبينما يعتبر كالفن هذا دليلاً على وجود الله، فإن ريد، الذي يتناول نظرية المعرفة، يعتبر وجود الله أمراً مسلماً به، ويجد فيه مبرراً للمعتقدات الطبيعية.

قد أقول إنه عندما نصل إلى القرن العشرين، نجد أن أشخاصًا مثل جي إي مور لا يملكون أي مبرر إلهي .يبقى جي إي مور نوعًا ما لا أدريًا دينيًا .حسنًا، لننتقل إلى نظرية المُثُل والمعتقدات الطبيعية.

.دعني أتوقف هنا للحظة .تعليق، ملاحظات؟ أجل يا تروي .رأيان حول ...أوه أجل، أجل

أتساءل إن كان هيوم يرى نوعًا من النظام في هذه المجموعة من الإدراكات، وأتساءل إن كان هذا النظام جامدًا حقًا ، لكنني أتساءل أيضًا إن كان وايتهيد يواجه المشكلة نفسها، وإن كان يتعامل معها من خلال العملية نفسها بدلًا من ...أجل، أجل .أولًا، هيوم، على حد علمي، لا يتحدث عن النظام الداخلي لهذه المجموعة من الإدراكات .لا.

،لغته ببساطة هي لغة الأفكار التي تظهر وتمر على مسرح الوعي .من جهة أخرى، عندما يتحدث عن الذاكرة يُقرّ بأن لدينا معتقدًا فطريًا نستند إليه في تلك اللحظة، ميلًا طبيعيًا، إن صح التعبير .لكنه لا يُفسّر كيف يكون ذلك.

ما الذي يمتلك هذا الميل، إن لم يكن هناك سوى تصورات؟ إذن، لا .أما بالنسبة لسؤال وايتهيد، نعم، عليه أن يتناوله .سنعود إلى هذا الموضوع لاحقًا عندما نتطرق إلى وايتهيد.

لكن كما ترى، يتبنى وايتهيد تقريبًا وجهة نظر هيوم القائلة بأن الذات ليست سوى سيل زمني من لحظات الوعي .هذا نصف كلام وايتهيد ونصفه الآخر مترجم .لكنه سيل زمني من لحظات الوعي.

وهذا يُنمّي شخصيته الداخلية وخصائصه الخاصة، كما سترى .لذا عليه أن يتناول سؤال هيوم .وهو يتناول سؤال هيوم بالفعل.

ويدور النقاش بين دارسي فكر وايتهيد حول مدى كفاية هذا التحليل .كيف يُحقق ذلك؟ ببساطة، لأنه يرفض فكرة أن كل لحظة من التجربة خالية من أي قوة سببية .فبالنسبة لوايتهيد، مُتبعًا الواقعيين، كل حدث يقع هو وحدة من القوة السببية.

.إذن، لقد تغلب على مشكلة القوة السببية .هكذا يفعلها .حسناً، الحرية الإنسانية

ديفيد؟ لا، ليس المقصود الأفكار الطبيعية .إنه يرفض فكرة وجود أفكار وسيطة بين العقل والموضوع .لديه معتقدات طبيعية.

.الاعتقاد ليس مجرد فكرة .الاعتقاد ينطوي على حكم .أترى ؟ حكم يُقرّ ويؤكد اتفاق الأفكار أو اختلافها

هذا يختلف عن الفكرة .بالمناسبة، لم يُدرك بعضكم في ملخصاتكم عن هيوم الفرق بوضوح بين الأفكار ونوعي المعرفة :علاقات الأفكار وحقائقها.

،ويميلون إلى اعتبار العلاقات بين الأفكار والحقائق أنواعًا أخرى من الأفكار .كلا، إنها نوعان من الأحكام .نوعان من المعرفة .الأفكار بسيطة ومعقدة، وتسبقها انطباعات

،حسنًا، الحرية والحتمية .تذكروا ديفيد هيوم، الذي قال إنه على الرغم من عدم معرفتنا بالارتباط الضروري فإن التكرار المستمر لنفس أزواج الأشياء، السابقة واللاحقة، مرارًا وتكرارًا ، يدفعنا إلى الاعتقاد بالارتباط السببي .وبما أن هذه الأنواع من الانتظامات تحدث في التجربة الإنسانية، ويقر بها كل من مناصر الحرية .الإنسانية، أي الإرادة الحرة، ومناصر الحتمية، أي الضرورة، فلا مجال للاختيار بين هذين الهيومين

.لكن ريد يخالف هذا الرأي بشدة .يقول ريد إن هناك قوة سببية مميزة متضمنة في الفعل البشري

يُطلق عليه اسم الفاعلية البشرية .ونتيجةً لذلك، في نقاشات القرن العشرين، نميّز بين السببية الناتجة عن . الفاعلية والسببية المادية البسيطة .السببية الناتجة عن الفاعلية التي تشمل الفاعل البشري

يؤكد ريد الآن أن قدرتنا السببية هي نوع من القوة، قوة سببية، ندركها إدراكاً مباشراً .قدرتنا السببية هي قوة .سببية ندركها إدراكاً مباشراً

،ندرك تمامًا أن لدينا القدرة على بدء الأحداث، على إحداث تغيير .لذا، أملك القدرة على إعلان انتهاء الحصة . ويمكنكم المغادرة .وأنا متأكد من أن ذلك سيُحدث تغييرًا

لكن ليس بعد .هذا الوعي المباشر بامتلاك القوة، وممارستها، هو أحد هذه المعتقدات الفطرية .إنه أمر لا .مفر منه

والسؤال الآن، بطبيعة الحال، هو ما إذا كان استخدام تلك السلطة، أو ممارستها، حراً في حد ذاته أم أنه مُحدد سلفاً .يقول هيوم إننا قد نكون أحراراً في التصرف، لكننا لا نملك حرية الاختيار .ذلك لأن الترابط .الدائم بين الدوافع والأفعال يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الدوافع هي التي تحدد الأفعال

.وهنا، مرة أخرى، يختلف ريد مع هذا الرأي .فالحرية هي القدرة على اختيار إحداث شيء ما أو عدم إحداثه .وهذه الحرية ليست مجرد فعل تفكير منطقي

.قد يتأثر تفكيرنا بأفكار ومعتقدات سابقة، لكن الحرية ليست فعل تفكير أو نتيجة له، وليست مجرد دافع

لأن دوافعنا، كما أشار هيوم، قد تكون محددة .لكن الخيار هو خيار بين حجج بديلة ودوافع بديلة .وأحيانًا .نختار دون الاستناد إلى أسباب أقوى أو دون دوافع واعية

،بمعنى آخر، قد تكون دوافعنا ومنطقنا محددة، ولكن من جهة أخرى، قد لا تكون كذلك .وبقدر ما ندرك إدراكًا مباشرًا، حرية اختيار البدائل، فهذه هي الحجة التأملية؛ ومن هنا ينشأ الإيمان الفطري بالحرية، الذي .يؤكده .والآن، يواجه ثلاث حجج مضادة لذلك

إحدى الحجج المضادة هي أنه لا بد من وجود سبب كافٍ لتفسير كل شيء .فكل شيء يجب أن يكون له .سبب، وهذا ما يُعرف بقانون السبب الكافي .ويرد ريد على ذلك بأن الفاعلية سبب كافٍ

.هناك أوقات أكون فيها أنا السبب، وهذا خياري .أما إذا لم تكن هناك أسباب، فالأمر متقلب وخطير

فيردّ قائلاً :إنّ الفعل الحرّ ليس فعلاً بلا سبب .فأنا سبب أفعال وكيلي، ولا أتصرّف عبثاً، بل عن قصد .أما الاعتراض الثالث فهو أنّ حرية الاختيار لا يملكها في الواقع إلا الله، الذي هو سبب كل شيء.

تتذكرون الرأي القائل بأن الله هو القدير المطلق، الذي يملك كل القدرة .لذا، يثور التساؤل :إذا كان الله يملك كل القدرة، فكيف لنا أن نمتلكها كفاعلين؟ يجيب ريد بأن المعرفة، أي أن معرفة الله بما سيحدث، لا تُجبر على حدوثه .بمعنى آخر، هناك أسباب ثانوية، كالفاعلين، الذين هم الأسباب المسؤولة عن إنتاج الأشياء.

،إذن، هو يرد على تلك الحجج النمطية، لكن مدى كفاية رده، بالطبع، هو ما يُثار حوله الجدل غالبًا .حسنًا هل لديك أي تعليق على ذلك، أم أنك مستعد لإلقاء نظرة على أخلاقياته؟ يكاد يكون من الممكن التنبؤ بما سيقوله، أليس كذلك؟ بمجرد فهمك لمفهوم الاعتقاد الفطري، يصبح الأمر شبه متوقع .هل من طريقة لوصف فعل الاختيار بحيث يبدو حرًا؟ الوعي بالسببية الفيزيائية، نعم، والجهد المبذول في العضلات، أي الاختيار.

نعم، هل سبق لك أن واجهت صعوبة في الاختيار بين خيارين، حيث لا تجد أيًّا منهما يرجح كفة أحدهما على الآخر، بحيث يكون القرار سهلًا نوعًا ما ، ولكنه في الواقع مُتخذ نيابةً عنك؟ نعم، يحدث هذا أحيانًا .تدرك حينها أن بإمكانك اختيار أيًّا منهما .وربما في اللحظة الأخيرة تُغير رأيك .

كما ترى، هناك تجربة الحرية المؤلمة للاختيار .هذا هو النوع الذي يستند إليه .حسناً، لننتقل إلى أخلاقيات ريد.

قلتُ للتو إن ريد كان من أنصار المبادئ الأساسية، أي أن كل استدلال يبدأ من المبادئ الأولى .حسنًا، هكذا هي الحال في الأخلاق .فالأخلاق، كأي علم آخر، لها مبادئها الأولى.

هذا تصريحٌ بالغ الدلالة .فالأخلاق، كأي علم، لها مبادئها الأساسية .لكن هيوم يقول إن الأخلاق ليست علماً.

الميتافيزيقا ليست علماً، لعدم وجود مبادئ أولية يُستدل منها .لكن ريد يقول إن الأخلاق علم، وفيها مبادئ أولية يُستدل منها .وهو يتحدث عن هذه المبادئ الأولية بأساليب متنوعة.

دعني أعدد الطرق التي يتحدث بها عن هذه المبادئ .هذه عبارات مترادفة نوعًا ما، على حد علمي .يقول إن المبادئ الأولى هي مبادئ بديهية.

بديهي .لكل من يملك ضميراً وبذل جهداً في ممارسته .ميول طبيعية.

لا شيء .يقول إن هناك رغبات وعواطف طبيعية تؤهلنا لحياة أخلاقية .ميول طبيعية.

يتحدث عن قصد الطبيعة .ويقول إن هناك بديهيات تؤدي إلى الفضيلة الاجتماعية، وإلى الحكم الرشيد.

يقول إن هناك دليلاً بديهياً لا أستطيع مقاومته .يقول إن الضمير هو شريعة الله المكتوبة في القلب، والتي لا يمكن عصيانها إلا بفعلٍ منافٍ للطبيعة .يقول إن الحكم الأخلاقي والضمير ينموان حتى النضج من بذرةٍ خفيةٍ زرعها الخالق فينا.

يقول إننا، بدافع من الطبيعة، نتجرأ على الحكم بأنفسنا .لذا فإن مناشدته، مرة أخرى، هي للميول الطبيعية.

إن المبادئ الأخلاقية الأولى التي يستخلصها بهذه الطريقة أو يفكر فيها بهذه المصطلحات هي مبادئ عامة للغاية .فبعض الأمور تستحق الاستحسان، وأخرى تستحق اللوم.

حسنًا، ثمة فرق بين الصواب والخطأ .هذا مبدأ أساسي، لا بد من وجوده في مكان ما .ومرة أخرى، ينبغي لنا استخدام أفضل الوسائل المتاحة لنا لنكون على دراية بواجبنا.

لدينا مسؤولية أخلاقية للتحقق من ذلك .هذه هي الأمور التي يعتبرها مبادئ أساسية، وفي ضوئها نصدر أحكامنا بشأن الحالات الفردية .وفي هذا السياق تحديدًا ينتقد هيوم.

يقول إن نظرية هيوم في الأفكار قادت من ذاتية الصفات الثانوية والأولية إلى ذاتية الجمال والصواب والخطأ، أي الذاتية الأخلاقية عند هيوم .لكن وجهة نظره تبدو مشابهةً لهيوم في بعض الجوانب.

يقول إن الشعور، أي العاطفة ، والحكم، أي العقل، لا ينفصلان في منح الموافقة الأخلاقية وإصدار الأحكام الأخلاقية .العقل والشعور معاً .هذا ما قاله هيوم.

لا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر .لا يمكن اختزال أحدهما إلى الآخر .عندما أوافق على شيء ما، فأنا أصدر حكماً أخلاقياً بوعي.

إنه حكم .إنه ليس مجرد رد فعل عاطفي .لكن الفرق يكمن في أن الحكم لا يقتصر على وقائع القضية فحسب.

كما هو الحال بالنسبة لهيوم، بنهجه التجريبي في دراسة العواقب، ونهجه النفعي.

والسبب هو تجاوز الحقائق لاستكشاف العلاقة بين الأفكار .فالاتفاق أو الاختلاف هو جوهر الحكم .لذا، عندما نعتمد على مبدأ مثل :يجب أن نفضل الخير الأكبر على الخير الأصغر.

بناءً على ذلك، أستنتج أن أحد الخيارين يحقق منفعة أكبر من الآخر .ومن المنطقي أن أفضّل الخيار الذي يحقق منفعة أكبر .وهكذا، فإن الأحكام الأخلاقية، والأحكام الواقعية، تستند إلى مبادئ بديهية.

حسنًا، هذه ليست الصورة الكاملة التي كنت أتمنى أن يرسمها .لكنها الصورة الأكثر اكتمالًا التي وجدتها عند لوك في هذه المرحلة .عند لوك، في هذه المرحلة.

تعليق؟ سؤال؟ العقل والشعور .يختلف عن هيوم في دور العقل .حسنًا، أعتقد أننا سنؤجل هذا التعليق عن كانط إلى المرة القادمة.

وهذا يعني ببساطة أنه سيمنحنا الفرصة لاستعادة وعينا بالواقعيين الاسكتلنديين.